الكلمة الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام
والتابعين ومن سار على نهجهم القويم.

وبعد، فبمباركة سامية من رئيس المجلس العلمي الأعلى، أمير المومنين، حامي حمى الملة والدين، وسبط رسول رب العالمين، مولانا محمد السادس، دام له العز والتمكين والنصر المبين.

وبإذن منه - أيده الله - وتكليف وتشريف بإقامة دورة المجلس السابعة عشرة بمدينة فاس.

تطبيقا للمادة الرابعة من الظهير الشريف الصادر في 2 ربيع الأول 1425 (22 أبريل 2004) المنظم للمجالس العلمية المحلية ولاسيما الفقرة الأولى منها

وتطبيقا لمواد الظهير الشريف رقم 1.04.231 الصادر في 7 محرم 1426 (16 فبراير 2005) بالمصادقة على النظام الداخلي للمجلس العلمي الأعلى، ولاسيما المادتان الخامسة والسادسة منه.

وسيرا على ما جرى عليه عرفنا في تنظيم سابق الدورات.

وباسم الله العلي القدير، وبتوفيق وتسديد منه سبحانه، نفتتح أشغال هذه الدورة متبركين بتلاوة بعض الآيات المباركة من كتاب الله.

في مستهل هذه الكلمة، أحب أن أرحب بكم أصحاب الفضيلة، شاكرا لكم جميل تلبية دعوة الأمانة العامة للمشاركة في أعمال الدورة، وإغنائها بسديد آرائكم، وقيم اقتراحاتكم، وسخي تجربتكم، مستحضرا إخوانا لنا أعزاء اختارهم الله لجواره، كانوا من جنود الله المخلصين، وعلماء الأمة العاملين، نذكر من بينهم المرحوم بكرم الله الأستاذ إسماعيل الخطيب الذي أدار بوقار وبكفاءة واقتدار المجلس العلمي المحلي لعمالة الفنيدق، نضرع إلى الله تعالى أن يحشرهم في زمرة الصالحين ويتقبل منا صالح الأعمال ويلحقنا بهم مومنين على ثوابتنا ثابتين لا مبديلن ولا مغيرين ولا فاتنين ولا مفتونين، كما أن بعضهم عاقتهم ظروفهم الصحية عن الحضور نسأل الله لنا ولهم تمام العافية وعاجل الشفاء.

ويسعد هذه الدورة أن تستقبل خداما جددا شرفوا بثقة أمير المومنين بتعيينهم رؤساء لبعض المجالس العلمية المحلية بأقاليم من المملكة السعيدة، يطيب لي أن أرحب بهم ضمن أسرة علماء الأمة، آملين أن يتحقق فيهم حسن ظن الجلالة الشريفة، وأن يكون انتماؤهم لمؤسسة علماء الأمة قيمة ينعكس أثرها بجلاء على المحيط المحلي لدائرة مسؤوليتها، في إطار المشروع التنموي الذي قطع فيه المجلس العلمي خطوات على الطريق، لها دلالتها ومغزاها.

ودون أن يفوتني اغتنام الفرصة لأتوجه إلى العلماء الذين انتهت مهمتهم على رأس بعض المجالس بخالص الشكر على ما أسلفوه من عمل، مذكرا بأن دائرة مهمة العلماء أوسع من تدبير رئاسة مجلس أو العضوية به، فما العالم إلا جندي من جنود الله، وسهم من سهامه التي يقطع به دابر الجهل والكفر، والإلحاد والجحود، فحيثما رمى به فذلك مراد الله منه، وأينما حل فثم شرع الله ودينه.

جامعة القرويين :

اليوم تنزل قافلة العلم والإيمان بعالماتها وعلمائها الوافدين من كل ربوع المملكة شمالها وجنوبها، شرقها وغربها، حاضرتها وباديتها، ضيفا على حاضرة العلم والدين، والحضارة والتاريخ، ضيفا على جامعة القرويين، مصنع رجال الدنيا والدين، وقلعة علوم الشريعة، ولغة القرآن على امتداد القرون والسنين، من شدت إلى رحاب حلقات شيوخها مواكب طلاب العلم من آفاق ديار المسلمين.

فوق هذا الصعيد الطيب، يلتقي اليوم علماء العصر مع منبت المجد العلمي التليد، ليشهد التاريخ أن الرسالة الخالدة التالدة باقية محفوظة في هذا

المغرب، كما كانت يوم أن كان هذا الصرح العلمي العتيد يصنع صناع العلم والأدب، ورجال الدنيا والدين، الذين بنوا الأمجاد، وحرسوا البلاد، وساسوا العباد، وأقاموا العدل والميزان بين الحاضر والباد، وقاوموا بكل صرامة جميع أصناف الظلم والجهل والبغي والفساد.

فإن كان فخر اللاحق منا بالسابق أصيلا تليدا، فإنه ليس من جنس ذلك الذي قيل في شأنه:

ويفخرون بأجداد لهم سلفوا نعم الجدود ولكن بئس ما خلفوا

كلا، ولا هو من فصيلته.

أما عن محطة مجلسنا السابعة عشرة فهي خطوة أخرى في سلسلة الخطى على الطريق نحو الغد القريب والبعيد والأبعد إن شاء الله تعالى.

مشيناها خطى كتب علينا ومن كتب عليه خطى مشاها

إذ المؤسسة هي التي تخطو، والمؤسسات لا تتوقف عن متابعة الخطى، عندما يتوقف الأفراد عن السير، شريطة أن يتم وضعها على المحجة القاصدة وفي الاتجاه الصحيح مع ضمان تمويلها بكل ما تتزود به في رحلتها الطويلة من زاد قوامه الإيمان بالرسالة والصبر على الجهاد، وما يتطلبه من عدة وعتاد.

أظن أن لقاءاتنا في دورات المجلس، لها أكثر من هدف وغاية زيادة على مهمتها الأصلية، لعل من أهمها:

أولا: القيام بتدقيق النظر في الأسلوب المعتمد في التدبير، ومدى قدرته على إدراك الأهداف والغايات المراد تحقيقها بالمقارنة مع المجهود المبذول في التفكير والتخطيط وما يصرف فيه من الوقت والمال.

ثانيا: القيام بالتخطيط والبرمجة للمرحلة الموالية، وما يقتضيه النظر من مراجعة وتعديل على ضوء ما انتهى إليه التقييم والتجربة المستخلصة من تراكم العمل على الأرض.

ثالثا: ما يتاح خلال انعقاد الدورات وعلى هامشها من فرص لتبادل التجارب، والإفادة والاستفادة في تدبير الشأن الديني على المستوى المحلي، باعتبار أن طريقة التعاطي مع الخصوصية المحلية قد تقتضي مراعاة ما جرى به العرف والعادة التي قد تختلف من جهة لأخرى، وبالتالي ما يحدثه بعض الاختلاف في أسلوب العمل وطريقته، وليس في الجوهر والمضمون الذي لا يختلف مهما يكن اختلاف الجهات، وغير خاف أن اجتماع علماء المملكة في صعيد واحد، هو في حد ذاته مكسب، وأي مكسب في توحيد وجهة النظر وتلاقح الأفكار، وتحديد الأهداف والمنطلقات تفاديا للارتجال والمبادرات الفردية التي قد تضل طريق القاصد.

فتداول الأفكار وتبادلها ومناقشتها من أهم ما يسعى العلماء لتحصيله في دوراتهم، كما في كل لقاءاتهم ومحافلهم وأنديتهم.

ما بين الدورتين أو من البيضاء إلى فاس

حضرات السادة والسيدات:

إن من يتابع المجالس العلمية المحلية خلال ستة أشهر على الأقل لا شك أنه سيلمس الكثافة فى النشاط الثقافى والتأطيري المتنوع بتنوع فئات المجتمع وأطيافه.

غير أنه سيلاحظ أيضا أن بين المجالس تفاوتا كبيرا في العمل الميداني وفي باب الاجتهاد والابتكار وسرعة الحركة، فضلا عن المبادرة في مجال العمل الاجتماعي وإغاثة الملهوف، وسد حاجة المحتاج، وإصلاح ذات البين، وتعبئة القدرات النشيطة في المجتمع، وجمعها على فعل الخير.

كما سيلاحظ أن الاهتمام الأكبر في التأطير تألق على مستوى تحفيظ القرآن الكريم، حيث بدا أن الإقبال على استظهار كتاب الله في الآونة الأخيرة فاق كل التوقعات، ولاسيما بين النساء على اختلاف أعمارهن، إنها صحوة قرآنية رشيدة تؤكد أن هذا المغرب كان وسيبقى كما كان في سالف العهود دار قرآن ودين، وصلاح وإصلاح.

البوابة الأولى للإصلاح:

كلما تعمق البحث عن التماس أفضل السبل وأجداها في باب إصلاح الشأن الديني، وطريقة إعادة تنظيم آلياته وتفعيل أجهزته، تنظيما وتفعيلا يتأتى معهما ضبط كلياته، وتيسير صيانة جوهر ثوابته، باعتباره حجر الزاوية في بناء أي إصلاح حقيقي للإنسان، اتضح أن لذلك بوابة واحدة لابد لمن رام التجديد والصيانة والتزكية الحقيقية أن يمر عبرها لدخول الفضاءات الأخرى التي تعتبر في حقيقتها متفرعة عنها، وما تلك البوابة سوى المسجد الذي انطلق من قلبه أول إصلاح في الإسلام، إذ هو قلب المجتمع النابض وضميره اليقظ، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله.

ومن ثم فلا عجب أن ينصرف جهد الباحثين عن الأمن المعنوي والروحي للأمة، والاستقرار والازدهار للمجتمع، إلى تثبيت ركائز هذا الأمن وقواعده انطلاقا من بيوت الله صيانة لها وتنمية وتأهيلا لوظائفها، وتحريكا لقدراتها وطاقاتها، وذلك ما أعدت له عدته، وتوفرت له شروطه وأسبابه ويجري اليوم تنزيله على أرض الواقع ليحقق - إن شاء الله - أهدافه النبيلة ويثمر ثماره الزكية.

المسجد مجال العلماء الحيوي :

يبدو لي وبالرغم من زخم النشاط الذي يقوم به العلماء في مساجد الله أنهم لم يكتشفوا بعد بالقدر الكافي ما توفره هذه القلاع الروحية المنتشرة

بالمملكة الشريفة انتشارا واسعا من إمكانات كبيرة لإحداث صحوة دينية وسطية معتدلة، لا غلو فيها ولا تطرف ولا جمود ولا جحود.

وهو المسعى الذي يروم ولي أمر الأمة المغربية، أمير المومنين محمد السادس تحقيقه من خلال مشروع التنمية، فعندما يتحقق معنى التنمية في بعديه المادي والمعنوي، يدرك أقصى غاياته وأسمى مقاماته.

وواضح أنه ليس لغير العلماء مثل هذا الكم الهائل من فضاءات العمل الموزعة بهذا الشكل المتوازن على الصعيد الوطني كله، بيد أنه إن كانت لهم بذلك ميزة يغبطون عليها، فإنه بالمقابل يضع على عاتقهم مسؤولية كبيرة إن هم قصروا في تشغيلها وإعمارها بما ينفع الناس ويمكث في الأرض، ومن ثم فإن مسؤولية صيانة المساجد وتنميتها هي بالدرجة الأولى قضية العلماء وحدهم، وقد بات ذلك اليوم في حقهم فرضا عينيا لا يبرئ ذمتهم منه إلا أداؤه أداء كاملا غير ناقص، بعد ما تهيأ لهم من الشروط الموضوعية والشكلية، ومن الوسائل المادية والبشرية، ما لم يكن متهيأ في أي وقت سابق من ربط النظري من الأفكار الحاملة للإصلاح بالعملي الميداني، الذي تترجم من خلاله الحمولة الفكرية إلى واقع ملموس يتحرك على الأرض ويمشي بين الناس.

النشاط المسكوت عنه:

من العمل ما اعتدنا أن نقفز عنه ونطوي ذكره اكتفاء بالأوراق التي تدرج في محافظ الدورات والتي قد لا تقرأ أصلا، أحببت اليوم أن ألفت إليه النظر للتنبيه عليه فقط، وليس لبسط الكلام حوله، وهكذا فإننا نجد أن بعض هذا النشاط يتم على مستوى التنسيق والتشاور بين الأمانة العامة للمجلس ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في كل ما هو مشترك من الأعمال ذات القيمة والفائدة وهو - بحمد الله - كثير، كما لا يعزب عن بال المتابعين الذين يعنيهم أمر هذا الشأن.

وفي هذا الصدد، يمكن أن نذكر أن فريقا من الخبراء المتنوعي الاختصاص، علماء مبتكرين، ومهندسين في الإعلام والتواصل، متمكنين مقتدرين، وإداريين محنكين، اشتغلوا منذ ما ينيف على ستة أشهر في إعداد مشروع فريد في بابه غايته ضبط أمن مساجدنا، وصيانتها وتزكيتها، صيانة وتزكية ترتقي بأدائها إلى أفقه الأعلى كمؤسسة يلتقي في طبيعة ثقافتها تأهيل الإنسان لممارسة شؤون دنياه ودينه على أفضل الوجوه وأكملها إنه المشروع الذي سيرى النور قريبا، وسيعلم الناس نبأه ويشاهدون ثماره بعد حين.

هذا إلى جانب القيام بإعداد وثائق وأوراق يعد توفرها ضروريا لسير المؤسسة العلمية سيرا منظما، كتلك التي تخص تأطير الأئمة الذي دخل عامه الخامس، وكتنظيم قضية الوعظ وترشيده وضبطه، وكدليل المؤسسة العلمية الذي يوجد قيد النظر والتدقيق، وهو كما لا يخفى ذو قيمة وأهمية فائقة من حيث كونه يتحدد على أساسه وضع مؤسسة العلماء وتأصيل مشروعيتها العلمية والتاريخية، ومركزيتها في حياة الأمة، إنه يمثل الحالة المدنية للمؤسسة وبطاقة هويتها الشخصية.

حضرات السادة:

لقد كدت أنسى الإشارة إلى أن المجلس العلمي الأعلى مع كثافة نشاطه على المستوى المركزي والمحلي، لم يفته الحضور المفيد في العديد من الندوات والتظاهرات الثقافية والعلمية، التي تهتم بموضوعات اجتماعية، تربوية أخلاقية، أو اقتصادية مالية، أو غيرها مما للمجلس به علاقة مباشرة أو غير مباشرة، وهي من تنظيم جهات رسمية أو شبيهة بها.

وقد انتدب المجلس لتمثيله كلا من الأستاذة فاطمة القباج، والأستاذ محمد صحري، كما انتدب الأستاذ سعيد شبار لتمثيله في ندوة نظمت بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية في موضوع: "الإرهاب: الدواعي

والأسباب، وطرق التصدي"، كما شارك الأستاذ سعيد بيهي في بعثة علمية ذات مهمة تفقدية تواصلية مع الجالية المغربية بكندا.

ودون أن أنسى مشاركة بعض أعضاء المجلس المعينين من رجال المؤسسة، ونسائها، أشيد بما قامت به ثلة منهم تكرمت بقراءة مجموعة خطب منبرية من إنشاء وإلقاء القاضي محمد بن إدريس العلوي، على عهد أمير المومنين محمد الخامس، طيب الله ثراه، وعددها ينيف على مائة خطبة تفضلت كريمته الشريفة لالة بدر السعود العلوي بإهداء نسخها للأمانة العامة للمجلس.

وقد استصفوا منها ما يقارب ثلاثين خطبة، في أغراض مختلفة تعد من عيونها، كما قاموا بتوثيقها، والتقديم لها بمقدمة مناسبة، وستقوم الأمانة العامة بنشرها قريبا كنموذج لخطيب وخطبة الجمعة في عهد السلطان سيدي محمد الخامس رحمه الله، ويسعدني أن أشيد بتعاونهم مع الأمانة العامة للمجلس بأريحية وكرم نفس.

وبعد، فإني من موقعي في مؤسسة العلم والعلماء، وبحكم متابعتي لما يجري تحقيقه على الخريطة المعنوية الممتدة على تراب المملكة، لابد أن يكون لدي من التصور والتقدير لحركة الفاعلين في المجال العلمي، سرعة وبطءً، حضورا وغيابا، حركة وسكونا...

وبمقتضى ذلك، فإن من يفتح عينه على هذا الفضاء حين يفتحها يشاهد أمامه فرسانا تجري بهم خيولهم في الميدان إلى الأمام ركضا يطوي المسافات، ويحطم الأرقام، ويثبت على الأرض الأقدام، فأحمد الله تعالى على ما وفق وأرشد وهدى، وأسأله المزيد من التوفيق، والثبات على سواء الطريق.

ويرى آخرون منهم لما يلحقوا بهم، لكن صح منهم العزم، وصدقت لديهم النية على اللحاق وتأهبوا للانطلاق، فهم على رجاء أن يصلوا في الموعد.

وترى طائفة أخرى لا تزال تراوح مكانها وتخطو خطى المتردد الحائر لم تتبين سبيل الرشد بعد، أرجو أن تحسم أمرها، وتؤكد انخراطها في معترك

الذب عن الوجود بأداء الأمانة، وتبليغ الرسالة "ولكل درجات مما عملوا" "وإنما الأعمال بالنيات".

إن المجلس عندما يعتريه العجز عن تحريك محيطه المحلي وهو الحد الأدنى لما هو مطلوب منا، فإن المشروع لا يمكنه أن ينتظره إلى ما لا نهاية، سيما والجديد من تكاليف المؤسسة أصبح يفرض التزاما صارما وتدبيرا حازما، لإنجاز المهام في مواعيدها المحددة دون تأخير.

إن مؤسسة العلماء، وهي بصدد إقامة وجودها فوق أرضية صلبة بعملها، وعلى غير مثال سابق، فإنها إذ تفعل ذلك فإنما هو من أجل صيانة الوحدة بصيانة الثوابت التي هي عنوان الأمة، وسر وجودها، وسفينة نجاتها ولن يكون ذلك إلا بترسيخ جذور قيمها الدينية، وتثبيت قواعد بنائها في القلوب والعقول والضمائر والأحاسيس، عبر عقيدة سمحة، هي غاية في الاتزان والاعتدال، ومذهب فقهي غني بأصوله وفروعه ومسائله يجر وراءه تاريخا حافلا بالصمود والنضال، ومدرسة في السلوك والتربية الروحية وضبط النفس وإلجام الشهوات والنزوات، أساسها كتاب الله تعالى وسنة رسوله المصطفى عليه السلام، وتجربة رجال جاهدوا أنفسهم بها وعلى أساسها فأراهم الله من آياته ما شاء لهم، وأبصروا من الحقائق ما يختفي وراء كثافة العصيان وتراكم النسيان، محفوظ كل ذلك بسياج إمارة المومنين ونظامها القائم على قاعدة البيعة الشرعية التي هي ميثاق بين المومنين وإمامهم، في سيرورة تاريخية لا مثيل لها في دنيا الناس.

وكل ذلك يمثل مظهرا من مظاهر السر الرباني الذي شاء الله أن يكون هذا المغرب ظرفا له ومكانا، وقد ينطوي تحت جناحه طرف من معنى الطائفة الظاهرة على الحق - إن شاء الله -.

الكلمة الختامية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام
والتابعين و من سار على نهجهم القويم.

سيدي الوزير
أصحاب الفضيلة
السيدات العالمات

إننا، ونحن نحاول أن نترسم خطى السلف من علماء الأمة، رواد الإصلاح ورجال الاجتهاد والتجديد، نرى حتما لازما علينا أن نجتهد في القرب منهم بالانخراط فيما كانوا عليه من سلوك قويم، وعمل عظيم أكسبهم خلودا على مر الأيام والسنين، ولولا عملهم الصالح بعلمهم النافع ما كان لهم ذكر في العالمين. فبصدق الأقوال، وحسن الأعمال يكون البقاء والخلود للعاملين المخلصين.
وقديما قالو:

وما نيل المكاسب بالتمني ولكن ألق دلوك في الدلاء
تعود بملئها طورا وطورا تعود بحمأة وقليل ماء

فليكن لنا في رحلتنا إلى الله، قبس من نور وصايا كتاب ربنا تعالى وسنة نبينا المصطفى، نستضيء به في مواصلة السعي الحثيث في طريق الخير ونبذ اليأس الذي يثبط الهمة، ويقتل العزيمة، ولنأخذ من تجارب الذين سبقونا بالإيمان، وسجلوا انطباعهم فيما تركوه وراءهم من حكم بليغة، وأمثال سائرة كالذي تضمنته هذه الحكمة الموزونة في الحث على السعي، وترك الاتكال والكسل واليأس.

لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

زادنا في هذه الرحلة تقوى الله تعالى وتوكل إيجابي على عونه وتوفيقه فالتقوى هي المحجة البيضاء، كل من سار على دربها وصل - إن شاء الله -.

لقد كان عندنا ما يشبه اليقين، إن لم يكن هو اليقين نفسه، بأن المخزون العلمي والتاريخي والحضاري الهائل، الظاهر منه والمستور، لمدينة فاس العريقة الممتلئة به أرباضها وأكنافها وحاراتها وأزقتها ودروبها، وبما يرسله من إشارات، ويهدي به من دلائل دالة، وبينات مبينات، وشواهد شاهدة بالامتلاء الفكري، والثقافي، والإبداع الفني، والرسوخ العلمي، والوقار الديني والسلوك الحضاري، بأن ذلك كله سيكون له أثره الظاهر، وتجليه الباهر على دورة علماء الأمة، المنعقدة في هذه الربوع المضمخة بأريج الإيمان والتقوى والدين المنبعث من قوارير شيوخ جامعة القرويين.

لقد عاش علماء العصر أياما وليالي آمنين مطمئنين بجوار صرح العلم الخالد، وفي حرمه المهيب الماجد، مستلهمين من وحي الماضي البعيد والقريب ما يكون لهم زادا في رحلتهم نحو الأفق المستقبلي، حاملين معهم ودائع وأمانات، تنوء بحملها رواسي الجبال، مستسهلين في سبيل الحفاظ عليها كل صعب، صابرين محتسبين، مقبلين غير مدبرين، لا يبالون على أي جنب كان أو يكون مصرعهم في الله، والذب عن دين الحق، ونصرة مبادئه وأخلاقه وقيمه، حتى يظهره الله.

ولقد تمخضت دورة فاس القرويين عن اتخاذ قرارات حاسمة وفي حجم الزمان الذي نعيش أحداثه ووقائعه، خيرها وشرها، والمكان الذي جعلته ظرفا لها، قرارات معبرة عن عزم العلماء على مواصلة رحلتهم في موكب اليقظة والانبعاث والإحياء، ضمن مشروع النهضة الشاملة التي يقود ولي أمر الأمة أمير المومنين مولانا محمد السادس سفينتها إلى شاطئ الأمن والأمان، وهي الارتقاء بالمغرب والمغاربة إلى المقام اللائق دينا ودنيا، إنه ميثاق يربط علماء المغرب بإمامهم الأعظم، غايته صيانة الثوابت وحماية الهوية المغربية من الغلو والتحريف، والتطرف والجمود، وفاسد التاويل، وسيء التنزيل.

كل ذلك في نطاق التوجيه، والتنوير بالحكمة والحجة والموعظة الحسنة، والتربية على مكارم الأخلاق، وتعبئة الأمة بكل أطيافها وفئاتها، على درء المفاسد، وجلب المصالح، ولن نفترق إلا على نية موعد لقاء قريب نتمم فيه ما بدأنا ونخطط لجديد قادم على صعيد آخر.